دروس الحديث الشريف الشيخ الطبيب محمد خير الشعال

سلسلة الأحاديث القدسية

((حديث الأولياء(1)))

من عادى لي وليّاً

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

يقول الله تعالى في الحديث القدسي:

((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَلا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ)) [البخاري].

هذا الحديث يسمى عند العلماء بحديث الأولياء، فإذا أردت أن تكون من الأولياء فعليك بهذا الحديث، وفي هذا الحديث **فقرات ثلاث**:

الفقرة الأولى:

((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ...)).

اثنان فقط، أحدهم ذُكِر في القرآن الكريم، والآخَر في السنة الشريفة، أعلن الله تعالى عليهم الحرب (آذنته بالحرب أي: أعلنت عليه الحرب) نسأل الله السلامة، وإذا عبد أعلن الله عليه الحرب فمن سيربح في هذه المعركة!.

✓ **الأول منهما في القرآن وهو: آكل الربا**، قال الله تعالى: ﴿ . . فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ . . ﴾ [البقرة: 279]. للذين يأكلون الربا، والربا لا يُثمر خيراً أبداً، والعالَم الآن في الدراسات الاقتصادية يقولون: أفضل بنك في العالم هو الذي نسبة الفوائد فيه صفر بالمائة، فالربا يؤذي الاقتصاد العالمي، وقد أعلن الله تعالى الحرب على آكلي الربا أو آخذيه في القرآن الكريم.

✓ وأعلن الله تعالى الحرب على من عادى وليّاً من أوليائه في هذا الحديث: **من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب**.

من هو الولي...؟

الله عزَّ وجل قال: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62)،من هم؟ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) ﴾ [يونس: 62-63].

نحن نتصور من ثقافتنا الموروثة أن الولي هو: رجل عمره قريب من السبعين عاماً، لحيته بيضاء طويلة، يقف في المحراب ووجهه دوماً نحو القبلة، ولا يتكلّم مع أحد، ولا يضحك لأحد، ولا يخرج من المسجد، وإذا خرج وضع رأسه في الأرض، ولا يأكل، ولا يشرب ولا... .

هذا لا علاقة له بالأولياء، **الولي رجل منا مخبّأ**، وقد ورد في الأثر أن الله تعالى **خبّأ أولياءه في خلقه**.

✓ فمن الممكن أن يكون الولي تاجراً في سوق الكهرباء مثلاً، يبيع ويشتري، وله من العمر ثلاثين عاماً، ولا أحد يعلم به، لكن هو لديه ضبط لماله ولقرشه، ضبط مئة بالمائة، يبحث عن الحلال لا يُدخل قرشاً حراماً إلى بيته، ولا إلى دكانه، محافظ على فرائضه،

واصلاً لأرحامه، دافعاً لزكاته، ملتزماً بأوامر ربه، ولا أحد يعرفه، تجده يشرب معنا الشاي، يدعونا إلى شرب القهوة، ونذهب معه، وقد يدعونا إلى مزرعته، لكن هو من *الأولياء*، له أوراد في الليل، الله بها عليم، صحيح أنه يضحك أمامنا، لكن من شدّة بكائه وتضرّعه إلى الله تعالى، تجد تحت عينيه خطين أسودين، لكن أمامنا لا يظهر شيء من هذا الكلام، هو من الأولياء!.

✔ امرأة صالحة تعمل مدرّسة في إحدى المدارس، تتقي ربها، وترعى طلابها أو طالباتها، وتحافظ على زوجها، وتحافظ على أولادها، وتلتزم بأوامر شرعها، وأوامر ربها هي من الأولياء.

فالأمر ليس باللحية الكثيفة، ولا الثياب، الأمر ليس في الثياب، الأمر هو: الانضباط بالشرع.

((**من عادى لي وليّاً...**))، من عادى أحداً من هؤلاء الذين، ينضبطون بالشرع انضباطاً صحيحا، فالله عزَّ وجلَّ يتولى أن يدافع عن هذا الولي.

((**فقد آذنته بالحرب...**))، سأنصر أوليائي، لأن الله عز وجل ينصر رسله وأولياءه في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

أين أبو جهل؟ داسته الأقدام، أين فرعون؟ سُحِق، لُعِن، أين نمرود؟ كلهم مضوا.

لكن بقي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يُصلّى ويُسلّم عليه إلى يوم القيامة، بقي سيدنا موسى يُصلّى ويُسلّم عليه إلى يوم القيامة، وبقي سيدنا إبراهيم كلما صليتم تقولون: وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم.

إذا تقربت من الله بطريقة صحيحة، **فالعاقبة للمتقين.**

قانون يقول الله تعالى فيه:

﴿والعاقبة للمتقين﴾ .إذاً فليتحرّك الفجّار كما يريدون، لكن النهاية للمتقين.

ويقولون : إنه من ضحك أخيراً ضحك كثيراً.

المتسابقون في سباق الجري في أول الانطلاق لا يستعملون كل قوتهم، لا يوجد مشكلة، وليسبقه غيره، لكن المهم في خط النهاية ماذا سيحدث!.

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ [الرعد: 17]

ليتظاهر أهل الباطل على الساحة كما يريدون فهم زبد، زبد البحر يغريك ، منظره من بعيد يغريك ، وحتى الآن في بعض البحيرات الصناعية ، يصنعون الزبد، فيضعون الصابون في المياه ، فيصبح المنظر جميلاً، لكن إذا نفخت عليه ذهب!.

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾[الرعد: 17]

كُن مع الله على الطريق الصحيح، **والعاقبة لك.**

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقي في مكة ثلاثة عشرة سنة، وقد تعرّض من الأذى ما الله به عليم، وبعد ذلك في المدينة المنورة يُشتم ويُسب ويُساء إليه وتكلّموا في عِرضه، وفي أهل بيته، وبعد ذلك الذي انتصر إنما هو **الحق**. ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: 81] .

من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب.

يقول الإمام الشافعي: إذا لم يكن العلماء العاملون أولياء الله تعالى، فلست أعلم لله تعالى وليّاً في الأرض، أنا لا أعلم إذاً أين هم الأولياء!.

ومن هنا يقول الإمام ابن عساكر (صاحب كتاب تاريخ مدينة دمشق) يقول:**واعلم بأن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أسرار منتقيصيهم معلومة.**

ومراراً تكرّر هذا الأمر، الذي يسيء إلى وليّ من أولياء الله، الله عز وجل يفضحه في قعر بيته. وعادة الله في هتك أسرار منتقيصيهم معلومة، فمن تكلّم فيهم بالعيوب والسيئات ابتلاه الله قبل موته بموت القلب.

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:63]. وسمة المؤمن أنه لا يسيء أبداً، **لكن مهما أردت أن تسيء، فإياك أن تسيء لرجل صالح!**.

مرَّة جاءني طبيب جرّاح، فقال لي: أنا أريد أن أسأل سؤالاً، قلتُ له: تفضّل، قال: هناك آية في القرآن الكريم، وأنا أريد أن تُفسّرها لي، وقد سألتُ كل شيوخ الشام، فلم أجد أحداً عالماً بها عِلماً جيداً!.

قلتُ له: خيراً إن شاء الله، ما الاسم الكريم؟ قال: فلان، قلتُ له: ماذا تعمل؟. فقال لي: أنا طبيب جرّاح، أعمل في أمريكا، والآن جئت زيارة فقط.

وللمصادفة وقبل أسبوع كان قد حدَث مع أحدهم موقف مع طبيب جرّاح، فقلتُ له: منذ أسبوع جاءني رجل فقال لي: كل أطباء الجراحة لصوص! فذُهِل وقال لي: لم تقول هذا؟ قلت له: والله لستُ أنا من يقول هذا، بل هو رجل، قد أساء له طبيب جرّاح، فقال لي: لكن ليس كل الأطباء هكذا، فقلتُ له: قلتَ إنّ كل العلماء لا يعلمون،

دون أن تنزعج !، لكن كل أطباء الجراحة ليسوا علماء أزعجتك!.**فمن أخطاء التفكير العلمي التعميم**.

ثم قلت لـه :الحيـاة اختصـاص، أنت طـبيب جـراح، لكن أنت لا تعلم شـيئاً في الهندسة، يجب أن تسلّم بيتك لمهندس، ومزرعتك يجب أن تسلّمها لمزارع، وهكذا.

وتفسير الآية القرآنية: أنه يجب أن تسأل أهل الذكر، ولا يليق بك أن تصف كل العلماء بهذه الكلمة، التي لا تليق برجل مثلك!.

لا تعادي وليّاً من أولياء الله تعالى((**من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب**..))

أول صـفة في الصـالحين أنهم: ليس في قلـوبهم عـداء لأي إنسـان عامـة، وللصـالحين خاصة.

وبالمناسبة للولي فهو ليس معصوماً، فقد يقال: فلان أخطأ، وهذا صحيح، فلا يوجد عبد لا يخطئ، حتى الأولياء يُخطئون ويُذنبون، أما المعصومون فهم الأنبياء وفقط.

الولي إذا أخطأ يرجع، فإذا لم يعُد، فمعنى هذا أنه بعيد عن الله عزَّ وجلَّ، فأدعه وخطأه، لكن لا يجب عليَّ أن أُسيء لأحد من صالحي هذه الأمة، حتى لا أقع في الفقرة الأولى من هذا الحديث وهي : ((**من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب**...)).

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

والحمد لله رب العالمين.